تاريخ التربية والتعليم في صدر الإسلام

م.م ابتسام غازي جوده / ماجستير في التاريخ الإسلامي
المديرية العامة لتربية محافظة المثنى
abtsamaltbry@gmail.com

الملخص

كان في المدينة المنورة في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم تسعة مساجد، وقامت أول مدرسة فيها عام ٦٢٢م، ولقد انتشرت فكرة دخول المدارس والتعلم فيها كالنار في الهشيم، فكان بقرطبة في القرن الثامن مئات المدارس، وبحلول أواخر القرن التاسع كان في كل مسجد تقريباً مدرسة ابتدائية لتعليم الذكور والإناث. وكان الأولاد يبدؤون دراستهم الابتدائية في نحو سن السادسة، وكذلك بعض البنات وأولاد العبيد ما خلا الأغنياء الذين كان لهم معلمون خاصون. وكان التعليم مجانياً أو قليل الكلفة جداً، ليتاح للجميع، وفي الدروس الأولى يكتب التلاميذ أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، وآيات من قصار السور، ويدرسون القرآن بعناية، ويُضاف إلى ذلك الحساب. وبحلول القرن العاشر امتد التعليم إلى بيت المعلم، الأمر الذي يعني أن المدارس قد أخذت تتطور بالتدريج، وحصل هذا التطور في بلاد فارس أولاً. وفي عام ١٠٦٦م أقام السلاجقة المدرسة النظامية على اسم مؤسسها الوزير نظام الملك البغدادي، وكانت هذه أول مدرسة خاصة لها بناء تعليمي منفصل ملحق بها. وعلى العموم فقد أنشئت المدارس منذ الأيام الأولى للإسلام، وخصصت للمدرسين رواتب. وكانت المدارس تُبنى بكثرة، ويهتم منشئوها بجمال المبنى، وكان لكل مدرسة باحة وإيوانات متعددة تستخدم للدروس أو قاعات للاجتماع أو للصلاة، إضافة إلى غرف إقامة فردية وموضات. ومارست الدولة أو الخليفة الحاكم نوعاً من المراقبة على التعليم، وكان على المدرس أن يحصل على إذن مسبق لممارسة مهنته.

الكلمات المفتاحية: (التاريخ، التربية والتعليم، صدر الاسلام).

The History of Education in Early Islam

Ibtisam Ghazi Judeh / Master's Degree in Islamic History
General Directorate of Education, Al-Muthanna Governorate
abtsamaltbry@gmail.com

Abstract:

During the time of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him), there were nine mosques in Medina, and the first school was established there in 622 AD. The idea of establishing schools and learning in them spread like wildfire. In Cordoba in the eighth century, there were hundreds of schools, and by the late ninth century, almost

every mosque had an elementary school for both boys and girls. Boys began their elementary education around the age of six, as did some girls and slave children, except for the wealthy, who had private teachers. Education was free or very inexpensive, making it accessible to all. In the early lessons, students memorized the ninety-nine names of God and verses from short surahs, studied the Quran carefully, and added arithmetic. By the tenth century, education had extended to the teacher's home, indicating that schools were gradually developing. This development occurred first in Persia. In 1066 AD, the Seljuks established the Nizamiyya Madrasa, named after its founder, the vizier Nizam al-Mulk al-Baghdadi. This was the first private school with a separate educational building attached. Generally speaking, schools were established since the early days of Islam, and teachers were paid salaries. Schools were built in large numbers, and their founders paid great attention to the beauty of the building. Each school had a courtyard and multiple halls used for lessons, meeting rooms, or prayer rooms, in addition to individual living rooms and fashion rooms. The state or the ruling caliph exercised a degree of oversight over education, and teachers were required to obtain prior permission to practice their profession.

Keywords: (History, Education, Early Islam).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تدوم النعم والحمد لله الذي بتوفيقه وتيسيره تصلح الامور وتتم كبرى النعم والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهداه، قال تعالى " يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات " (المجادلة :١١)

يعتبر تاريخ التربية هو الجانب التربوي من حركة التاريخ متمثل في الفكر التربوي الذي تقوم على اساسه النظم التعليمية وهو تاريخ حركة المجتمع في مجال التربية، ومفهوم التعليم يتناول تحصيل المعرفة وزيادتها من الناحية العقلية حيث يعد الانسان الى مهنة ما، اما التربية فهي عبارة عن عملية تنمية قوى المرء المختلفة وتنمية جميع جوانب شخصيته والتربية تعد الانسان للحياة الدنيا والاخرة .

لقد كانت التربية قديما تمارس بطريقة بسيطة وبدائية في وسائلها، قائمة على التلقين والمشاركة الا إن هذا المفهوم تطور عما كان عليه مع تطور الحياة البشرية فقد تميزت التربية عند اليونانيين بالتجديد والابتكار والحرية الفردية، وعند المسيحيين ركزت على معرفة الخالق وتنشئة الفرد على اساس خدمة الرب، اما التربية في الاسلام فتعمل على كشف واظهار جوهر الاسلام ومبادئه وتقوم باظهار وبيان قيمته وروحه وتشريعاته، وتكوين الوعي السليم بأن الاسلام هو عقيدة وعبادة واخلاق

بالإضافة الى انه علم وعمل، وهنا تتضح اهمية التربية ومكانتها في بيان حاجة الانسان الى القيم الاسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

وقد نهض البحث على مقدمة ومبحثين شملا عدة مطالب وتوضيحها ابرز فيه عناية الاسلام بالتربية والتعليم منذ بداية العصر الاسلامي وتهدف هذه الدراسة الى استقصاء النشاط الدراسي والتطور التعليمي والوقوف على ملامح التربية الاسلامية في عصر صدر الاسلام من خلال توضيح الاطار المفهومي للتربية الاسلامية وملامح مجالات التربية الاسلامية (الايمانية، العقلية، النفسية، الوجدانية، الخلقية، الاجتماعية) والتطبيقات التربوية المستنبطة من التربية الاسلامية في عصر صدر الاسلام، وقد اهتم النبي محمد (ص) بالتربية والتعليم وتعليمه الشرائع بالتدريج مقدما الاهم فالاهم ومعلما شيئا فشيئا ليكون اقرب تناولا واثبت على الفؤاد حفظا وفهما.

واظهرت الدراسة نتائج اهمها وضوح مجالات التربية المختلفة واهتمام رسول الله (ص) والخلفاء من بعده بها ، كما اشارت الدراسة في نتائجها الى تطبيقات تربوية مستنبطة والتي يمكن تطبيقها في المؤسسات التربوية وهي : الاتصال باولياء الامور نفس عظيمة وهمة عالية، الحكمة، القدوة الحسنة وعدم مخالفة الفعل للقول، التحلي بالموعظة الحسنة، الاعتدال والتوسط، الليونة والمرونة، الابتعاد عن الغضب، الرحمة، الرفق واللين، الحلم والاناة.

المبحث الأول: ظهور المدارس وانواعها والمستوى العلمي

هناك افتراض شائع أن أول ظهور للمدارس كان في منتصف القرن الخامس الهجري حين أسس نظام الملك السلجوقي المدرسة النظامية في بغداد، غير أن الدراسات الحديثة أثبتت أنها عرفت قبل ذلك التاريخ، وعليه تم تقسيم المبحث الى مطالب كالاتي:

المطلب الأول: ظهور المدارس

شيد الإمام أبو حاتم البستي المحدث المشهور (ت ٣٤٥هـ) مدرسة «دارا» في بلده بست، وجعل فيها خزانة كتب وغرفًا للطلاب، وخصص مبالغ مالية وأرزاقًا للغرباء من طلاب العلم فيها، وقالوا إنه جمع في تلك الدار جميع مؤلفاته ووقفها فيها ليطالعها الناس، وقد قرئ عليه أكثرها. أقام تلاميذ الإمام النيسابوري (ت : ٣٤٩هـ) من الشافعية مدرسة له بنيسابور (المراغي ١٩٤٦ : ٥٦) .

بنى بعض وجهاء طهران مدرسة للإمام الحاتمي (ت: ٣٦٢هـ) على المذهب الشافعي. أسس الإمام المحدث الشيخ أبو علي الحسيني (ت: ٣٩٣هـ) مدرسة لتعليم علوم الحديث وروايته، وقد بلغ عدد طلابها ألف طالب من شتى بقاع الأرض. وما ذهب إليه واستنفذ في هذه الجزئية يدعمه قول الإمام السبكي في طبقات الشافعية " كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضًا بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور، والمدرسة الثالثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بن علي بن المثنى الأسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضًا بُنيت للأستاذ أبي إسحق الإسفرائيني. وقد قال الحاكم في ترجمة الإسفرائيني: لم يُبْنَ بنيسابور قبلها، وهذا صحيح في أنه بني قبلها في غيرها.

(ابن كثير ١٩٩٩: ٤٧)

وهذه الشواهد كلها تقطع أن ظهور المدرسة بمعناها الاصطلاحي المتعارف عليه كان في حوالي منتصف القرن الرابع، وأنها ظهرت في شرق العالم الإسلامي في نيسابور وطهران، وهنا يثور التساؤل حول دواعي إنشاء المدرسة كمؤسسة مستقلة عن المسجد وكيف تميزت عنه.

(البغوي ٢٠٠٠: ٦٣)

بين المدرسة والمسجد كانت رغبة الناس في صدر الإسلام إلى العلم كبيرة، وكلما مضت السنون ازدادت هذه الرغبة حتى ازدحمت المساجد بحلقات العلم، وكان ينبعث من كل منها صوت المدرس أثناء إلقاء الدرس وصوت الطلاب وهم يتباحثون ويسألون شيخهم، وكانت الأصوات الصادرة عن الحلقات تتلاقى محدثة ضجيجا داخل المسجد يمنع العبادة من أن تؤدى على وجهها الأكمل، ولهذا نجد الأزهر يُترك للتدريس ولا يقام به الصلاة إلا الجمعة، وهذا ليس حلا طبيعيا إذ أن مهمة المساجد الأولى هي أن يصلي بها الناس، والعلم مهما عظم فهو في مرتبة تالية. يضاف لذلك أن العلوم تطورت وبعضها مثل علم الكلام والمنطق والجدل والمناظرة ذات طبيعة جدلية ويغلب عليها العقل، وكان تدريسها ينافي طبيعة رواد المسجد التي أساسها الورع والزهد وترك الجدل.

وأخيرا، فإن همم الناس وتوقها للعلم في القرون الأولى على أشدهما، وهذه الهمم قد أصابها بعض الفتور منذ القرن الخامس كما يعتقد الأستاذ أسعد طلس فوجب على الدولة أن تعتني بالعلم وأهله وأن تيسر أسبابه لمن يطلبه. **ولقد تميزت المدرسة عن المسجد ببعض خواص لا تختلف عنها وأهمها:**

الإيوان أو قاعة المحاضرات وفق التعبير الحديث، فما كانت المدرسة تخلو منه فهو أبرز مرافقها. والمساكن المعدة لسكنى الطلبة والمدرسين وكانت مجهزة بالأثاث والأدوات الضرورية للمعيشة كالأواني والموائد والمصابيح وغيرها. والمدرسون المعينون من قبل أصحاب المدرسة أو ولاة الأمر لتعليم الطلاب، خلافا للمسجد الذي كان المدرسون يقومون بواجبهم التدريسي تطوعا وبدافع ذاتي من أنفسهم. وأخيرا يُلاحظ أن أعداد تلاميذ المدارس كان أقل كثيرا من تلاميذ المساجد، وغالبا ما كانت تجري عليهم الأوقاف (الزرقاني ١٩٤٨: ٢٨).

لكن هذه الخواص لا ينبغي أن تصرف أنظارنا عن التشابهات العديدة بين المدرسة والمسجد كأن يعين مدرس في المسجد ويعين مؤذن للمدرسة، وأن أحدهم ربما مارس عمله في المسجد والمدرسة وغير ذلك.

أقدم النصوص الأدبية التي نجد فيها ذكر «المدرسة» بمعناها الاصطلاحي المفهوم – فيما أرى – هو قول دعبل بن علي الخزاعي (٩-٢٤٦هـ) في قصيدته التي يرثي بها آل البيت وما يلقون من تقتيل وتعذيب، وما أصاب معاهد العلم والدين من قتلهم:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات ولاشك في أنه يقصد بـ «المدرسة» معناها الاصطلاحي؛ أي الأمكنة التي كانت تشاد لإقراء القرآن وتلاوة آي الذكر الحكيم، أما أقدم النصوص التاريخية التي نجد فيها ذكر «المدرسة»، فهي كما يلي على ما أحصاه العلامة المستشرق البروفسور وستنفلد في كتابه القيم الذي ألفه في الإمام الشافعي، قال:

(١) شيد الإمام أبو حاتم البستي الأديب المحدث المشهور (؟-٣٤٥هـ) مدرسة «دارا» في بلده بست، وجعل فيها خزانة كتب وغرفًا للطلاب، وخصص مبالغ مالية وأرزاقًا للغرباء من طلاب العلم فيها، وقالوا إنه جمع في تلك الدار جميع مؤلفاته ووقفها فيها ليطالعها الناس، وقد قرئ عليه أكثرها.

(٢) بنى الشافعيون بنيسابور، المعجبون بعلم الإمام النيسابوري «أبي علي الحسين بن علي الحافظ الكبير (٣٤٩) مدرسة خاصة به.

(٣) بنى وجوه طهران للإمام الحاتمي (٩-٣٦٢هـ) مدرسة يفقه فيها الناس على المذهب الشافعي

(٤) أسس الإمام المحدث الشيخ أبو علي الحسيني (؟-٣٩٣هـ) مدرسة لتعليم علوم الحديث وروايته، وقد بلغ عدد طلابها ألف طالب من شتى بقاع الأرض.

(٥) شاد الإمام الإسماعيلي (٩-٣٩٦هـ) مدرستين في بغداد لتعليم المذهب الشافعي عهد بتدريس إحداهما إلى الإمام الإسفرائيني، وبالثانية إلى الإمام الباقي (السعدي ٢٠٠٠: ٩٦).

ويمكن أن نضيف إلى هذه القائمة مدارس أخرى شيدت في القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس، وهي:

(أ) يحدثنا المؤرخان ابن عساكر وابن خلكان أن فقهاء مدينة نيسابور استدعوا الإمام المحدث الأديب ابن قورك محمد بن الحسن الأنصاري الواعظ المتكلم الجليل (٩-٤٠٦ هـ) والإمام الفقيه الشافعي أبا إسحق الإسفرائيني إبراهيم بن محمد إبراهيم (٤١٨هـ) ليقوما بالتدريس والوعظ في مدرستين جليلتين بنوهما لهما. ويقول السبكي: إن المدرسة التي بنيت للإسفرائيني لم يُبْنَ قبلها بنيسابور ، ١٦٢ وإن المدرسة التي بنيت لابن قورك في نيسابور قد جعل إلى جانبها دارًا لسكنه.

(ب) ويقول السبكي في الرد على أستاذه الذهبي لزعمه أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس في الإسلام: «... وليس كذلك؛ فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعيدية بنيسابور أيضًا بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور، والمدرسة الثالثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بن علي بن المثنى الاسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضًا بنيت للأستاذ أبي إسحق الإسفرائيني. وقد قال الحاكم في ترجمة الأستاذ: لم يُبْن بنيسابور قبلها، يعني مدرسة الأستاذ مثلها، وهذا صحيح في أنه بني قبلها في غيرها بعد، فهذه النصوص تدل على أنه قد كانت في القرنين الرابع وأوائل الخامس مدارس، وأن نظام الملك السلجوقي لم يكن أول من أوجد هذا النوع من المعاهد على ما سنفصله . ونريد هنا أن نذكر أن المدرسة كانت موجودة ومعروفة في القرن الرابع، وأنها كانت مكانا خاصًا بالتدريس غير «المسجد» و«الكتاب» و «دار العلم» و«دار الحكمة». ونحن وإن كنا لا نعرف شيئًا ذا خطر عن «المدرسة» في ذلك الحين ولا عن ترتيبها وتنظيمها وما يُدرس فيها، ولكن يغلب على ظننا أنها كانت أمكنة خاصة بالتعليم والمعلمين يدرسون فيها، وربما كانت فيها غرف يسكنها الطلاب الغرباء، وربما سكن فيها بعض الشيوخ أيضًا. وأن هذه المدارس قد كانت تتمتع ببعض الأحوال في سبيل الهدف الذي أُنشئت من أجله، وخصوصا تلك التي بناها بعض الأمراء كمدرسة نصر بن سبكتكين والمدرسة الجليلة التي بنيت لأبي إسحق الإسفرائيني، وأن هذا النوع من المعاهد

كان منتشرا في العالم الإسلامي وفي الشرق وبنيسابور بصورة خاصة، أما في مصر والمغرب والأندلس فلم نعثر على نصوص تفيد أن شيئًا من هذه المعاهد كان موجودًا قبل العصر الأيوبي.

(الشوكاني ١٩٩٤: ٨٥)

قال ابن خلكان في ترجمة الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب: ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن فيها شيء من المدارس، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء، فعمر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي – رضي الله عنه – وبنى مدرسة في القاهرة في جوار المشهد المنسوب للحسين بن علي وجعل عليها وقفًا كبيرًا، وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ووقف عليها وقفًا طويلا، وجعل دار العباس المذكور في ترجمة الظافر العبيدي والعادل بن السالار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد كبير، والمدرسة التي بمصر والمعروفة بزين التجار وقفًا على الشافعية ووقفها جيد أيضًا، وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا وله وقف جيد وله مدرسة بالقدس وقفها كثير، وخانقاه بها أيضًا، وله بمصر مدرسة للمالكية ويذهب المؤرخان المصريان المقريزي والسيوطي مذهب ابن خلكان في أن مصر لم يكن بها مدارس قبل الدولة الصلاحية ، ١٦٨ أما الجامع الأزهر والمعاهد العلمية الأخرى التي شادها الفاطميون فلم تكن مدارس بالمعنى الاصطلاحي، وهي بجامع عمرو بن العاص والجامع الطولوني في مصر ودار الحكمة ودار العلم في بغداد وطرابلس على ما سنفصله بعد، في «المدرسة» إذن بمعناها الاصطلاحي المعروف وجدت في الشرق أولا ولم ينتظم أمرها وتتخذ طريقها الثقافي الواسع إلا حين أسس نظام الملك الطوسي «مدارسه» في بغداد وغيرها من عواصم الدولة الإسلامية التابعة للسلطة السلجوقية في عهده. ويعتبر عمل نظام الملك هذا أول عمل رسمي . به الدولة الإسلامية لتنظيم الدراسة وترتيبها بتهيئة الأسباب وإيجاد الموارد الضرورية، وإعداد الرواتب والنفقات للأساتذة والطلاب، وتثبيت بعض التقاليد التي كانت غير مستقرة قبلًا مما يتعلق بأنظمة الدروس وتقاليد العلم والتأليف والقضاء على الفوضى التعليمية التي كانت سابقاً.

(القرطبي ١٩٦٤: ٩٨)

ولا يعترض على هذا بأن العلم كان مزدهرا في الدولة الإسلامية قبل تأسيس «المدرسة»، وأن النتاج الفكري كان عظيمًا من قبل؛ فإن همم الناس كانت في العصور الإسلامية الأولى تتغلب على كل

العقبات أما في القرن الخامس وما بعد حين فقد فترت الهمم وكثر الهدامون فوجب الاعتناء بالعلم وأهله وتهيئة الأسباب لذلك؛ ولهذا كان عمل نظام الملك المصلح الاجتماعي والإداري الكبير عملا جليلا صان به الحركات العقلية وحماها من التدهور وسوء المصير، على أن نظام المدارس وإن كان قد صان العلم وحفظه، فإن كثيرًا من العلماء لم يكونوا يميلون إليه، بل فضلوا النظام السابق – أعني نظام التعليم الحر في «المساجد» – على نظام «المدارس» وأسلوبها الجديد المبني على النظام والترتيب؛ فمن ذلك ما يُروى عن بعض العلماء في ما وراء النهر أنهم لما بلغهم تأسيس «المدارس» في الشرق أقاموا مأتما للعلم وقالوا كان يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم الشرف والكمال به فيأتون علماء يُنتفع بهم وبعلمهم، وإذا صار عليه أجر تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل، ومن ذلك قول ابن الجاح في المدخل: .... لا يخلو موضع التدريس من ثلاثة أحوال، إما أن يكون بيتا أو مدرسة أو مسجدًا، وأفضل مواضع التدريس المسجد؛ لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة، أو تخمد به بدعة، أو يُتعلم به حُكم من أحكام الله علينا، والمسجد الذي يحصل فيه هذا الغرض متوفر؛ لأنه موضع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت، فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له وذلك لأناس مخصوصين، وإن كان العالم قد أباح بيته لكل من أتى لكن جرت العادة أن البيوت تحترم وتُهاب؛ فكان المسجد أولى لأنه أهم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة، وكذلك أيضًا بالنظر إلى هذا المعنى يكون المسجد أفضل من المدرسة لوجهين أحدهما: أن السلف لم تكن لهم مدارس وإنما كانوا يدرسون في المساجد وإن كان ذلك في المدرسة فيه المنفعة والخير والبركة لكن لما أن لم يقع ذلك للسلف كان أخذه في المساجد فيه صورة الاقتداء بهم في الظاهر وإن كان غيره يجوز، وكفى لنا أسوة بهم الوجه الثاني: أن المدرسة لا يدخلها في الغالب إلا آحاد الناس بالنسبة للمسجد؛ لأنه ليس كل الناس يقصد المدرسة وإنما يقصد أعمهم المساجد، وليس كل الناس أيضًا له رغبة في طلب العلم، وإذا كان التدريس أيضًا في المدرسة امتنع توصيل العلم على من

لا رغبة فيه.... فهذا يدل على ان كثيرا من زهاد العلماء والبصيرة في المشرق كرهوا اتخاذ الدارس كما كره المغاربة ذلك ، ولكن الضرورة هي التي دفعت المشارقة الى تأسيس هذه المعاهد وضرورة احكامها.

المطلب الثاني: المدارس وأنواعها

لم تكن المدارس التي أخذت تنتشر في العالم الإسلامي على شاكلة واحدة وإنما كان هناك مدارس متعددة، وإذا كانت المدارس في عصرنا تصنف إلى مدارس أولية، ومدارس متوسطة، ومدارس ثانوية أو عالية؛ فإن المدارس الإسلامية كانت تصنف وفقا للتخصصات العلمية، فكانت لدينا مدارس طبية فقهية ومدارس قرآنية ومدارس حديثية ومدارس طبية (ابن الاثير ١٩٩٩: ٧٦).

المدارس الفقهية: وهي المدارس التي تنشأ لغرض دراسة الفقه وأصوله، وهي أكثر المدارس ذيوعا وانتشارا كما يتضح من المصادر الإسلامية، وذلك لأن الفقه يتشابك مع مختلف نواحي الحياة، وهذه المدارس تنقسم بدورها إلى مدارس أحادية تعتمد مذهبا واحدا مثل: مدرسة أبي حنيفة ببغداد التي تدرس الفقه الحنفي، والمدارس الثنائية وهي تجمع بين مذهبين فقهيين مثل المدرسة الشهابية بالمدينة التي جمعت بين المذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، والمدارس الثلاثية التي تجمع بين ثلاثة مذاهب ومن أمثلتها: المدرسة الفخرية بدمشق التي بنيت عام ٨٢١ هـ وكان بها دروس للفقه الحنفي والمالكي والحنبلي، والمدارس الرباعية التي تُدرس الفقه على المذاهب الأربعة مثل: المدرسة المستنصرية ببغداد.

المدارس القرآنية: أو دور القرآن كان المسلمون يتدارسون القرآن في المساجد وفي دور خاصة كما ذكر الواقدي، واستمر ذلك في البلاد المفتوحة حتى القرن الرابع حين أنشئت دور خاصة للقرآن كما أفاد الصفدي والذهبي، كدار الرشائية التي أنشأها بدمشق المقرئ رشاً بن نظيف الدمشقي، وكانت هذه الدور منفصلة عن المساجد.

المدارس الحديثية: وتعرف كذلك باسم "دور الحديث"، وهي من مبتكرات نور الدين زنكي فقد ذكر ابن الأثير أنه أول من بنى المدارس الحديثية وأوقف عليها أوقافا كثيرة، وأنشأ بعده الملك الكامل ناصر الدين بن الملك العادل بالقاهرة (المدرسة الكاملية) وهي كما يقرر المقريزي "ثاني دار عملت للحديث، ويظهر أن المدارس الحديثية كانت تشترك أحيانا مع دور القرآن فتبنى دور مشتركة للقرآن والحديث معا، وتكون مستقلة عن المدارس الفقهية (ابن تيمية ١٩٩٥: ١٢) .

المدارس الطبية: كان الطب يدرس داخل المساجد ثم انتقل إلى البيمارستانات، وأول من شيدها الوليد بن عبد الملك عام ٨٨هـ وجعل فيها الأطباء وأجرى عليهم الجرايات وبنى دورا للضيافة، ثم

صاروا يودعون بها العقاقير والآلات الطبية، وربما أنشأوا بجوارها مدرسة لتعليم الطب فإذا ما أراد الطبيب المعلم الانتقال من الدراسة النظرية إلى التطبيقية تيسر عليه ذلك، وممن عمل ذلك الخليفة المستنصر فإنه جعل بالمدرسة المستنصرية مدرسة لتدريس الطب وعلوم الصيدلة، وكذلك فعل المنصور قلاوون بالقاهرة فإنه بنى البيمارستان المنصوري الكبير وجعل بداخله مدرسة جمعت بين تدريس العلوم الطبية والعلوم الشرعية فكان بها دروس التفسير والحديث والفقه لكن هذا لا ينفي أن المساجد ظلت تدرس شيئا من الطب في حلقاتها، كما ذكر عبد اللطيف البغدادي حيث كان الأزهر يُلقى به درسا في الطب منتصف النهار من كل يوم، ومن العسير الجزم بسبب ذلك لكننا نرجح أنه لم يكن بغرض تأهيل أطباء لممارسة المهنة وإنما كان يستهدف تزويد طلاب الشريعة بالمعلومات الأولية التي يمكنهم الإفادة منها في العلوم الفقهية أو الممارسات القضائية وخصوصا الجنايات منها.

المطلب الثالث: المستوى العلمي للمدارس، المدرسة المستنصرية نموذجا

حتى نتبين المستوى العلمي للمدارس الإسلامية يحسن أن نخصص الحديث عن إحداها كي لا نقع في فخ التعميم، وقد وقع اختيارنا على المدرسة المستنصرية ببغداد، التي بناها الخليفة العباسي المستنصر عام ٦٣١ هـ، وألحقت بها مدرسة قرآنية ومدرسة حديثية ومدرسة طبية.

والمستنصرية مدرسة داخلية يدرس بها الطالب ويقيم فيها ولا يغادرها إلى منزله إلا في الإجازات أو بعد مدة انتهاء الطلب، وتتولى إدارة المدرسة الإنفاق عليه وتمنحه ملبسا وطعاما ومبلغا قدره ديناران شهريا، علاوة على ما يحصل عليه من الفاكهة والحلوى والصابون والزيت وما إلى ذلك، وهي تتألف المدرسة من ٧٨ غرفة مخصصة لسكن الطلبة، كل غرفة مخصصة لأربعة طلاب، وساحة فسيحة تزينها ساعة ضخمة، وعدد من الدواوين أو قاعات التدريس، وخزانة كتب تضم آلاف الكتب من مختلف التخصصات. وأما نظام الدراسة فهو على المذاهب الأربعة، وقد جعل لكل مذهب مدرس من أكابر المدرسين وأربعة معيدين من المشهود لهم بالعلم والتصنيف المتقن، وكان الخليفة يشارك في اختيارهم بنفسه، وروعي في اختيارهم السمعة الحسنة والدراية التامة بقواعد المذهب وفروعه، وكان المدرس يحصل على اثني عشر دينارا شهريا وبعض المخصصات العينية كي لا ينشغل بغير العلم، ومن عادته أن يجلس أثناء التدريس على كرسي من الجريد مرتديا السواد على حين يقف أحد

مساعده على يمينه والآخر على يساره، ولم يكن هناك نظام للإحالة على المعاش بالنسبة للأستاذ وإنما يظل يدرس طالما كان قادرا على التدريس (الشيباني ١٩٢٧: ٧٩).

وكان الطلبة بدورهم ينقسمون إلى فئتين الصبيان الذين يدرسون في المدارس القرآنية الواقعة خارج المدرسة، والبالغين الذين يقيمون داخلها ويدرسون علوم الشريعة واللغة والطب والرياضيات، وقد كان عددهم عند افتتاحها ٢٤٨ طالبا وبلغ عدد المدرسين والمعيدين ٢٠ فكأن نسبة هؤلاء إلى أولئك هي ١ إلى ١٢.٤ طالب الأمر الذي يدل على مدى العناية التي يحصل عليها الطلاب من مدرسيهم، يضاف لذلك أنه توفرت للطلاب بعض الوسائل التي تساعدهم على التحصيل من مثل وجود دار كتب ضخمة تبلغ ثمانين ألف كتاب في مختلف التخصصات، ومستشفى مجهزة بأحدث المعدات وما إلى ذلك من وسائل علمية.

إذا علمنا ما كانت عليه المدرسة المستنصرية أدركنا المستوى العلمي الذي بلغته هذه المدرسة، وغيرها من المدارس الإسلامية في العصر الإسلامي، والدور الثقافي الذي كانت تؤديه في المجتمع.

المبحث الثاني: المدارس وأساتذتها وطلابها وكل ما يتعلق بها

كانت المدارس تُبنى لبعض الأئمة الكبار الذين أوتوا نصيبا من العلم عظيمًا كما رأينا فيما سبق من بناء المدارس للأئمة البيهقي والإسفرائيني وابن قورك البستي، وهم من كبار أئمة الإسلام في علوم الدين والحديث والعربية والآداب والكلام، ولما بنى نظام الملك السلجوقي مدرسته في بغداد اختار لها إمام أئمة الشافعية في عصره، وهو أبو إسحق الشيرازي، وكذلك جعل في كل مدرسة من المدارس التي بناها في ديار الإسلام شيخًا جليل القدر معروفًا في تلك المدينة بالفقه والدين والورع وسعة الاطلاع، وكذلك كان بناة المدارس بعده يختارون لمدارسهم شيوخًا عُرفوا بالعلم الواسع والخلق الرضي. وقد تعارف الواقفون منذ القديم على كثير من الشروط التي يجب أن تتوفر في المدرسين والأساتذة والشيوخ. ولما انتظمت شئون المدارس في القرن السادس وما بعده – بعد تأسيس المدارس النظامية التي أضحت المثل الذي احتذاه الواقفون ومؤسسو المدارس صار لتلك المدارس ومدرسيها تقاليد وآداب وقواعد حين قامت في الشرق وفي العراق والشام ومصر والمغرب تلك المدارس. فمن تلك التقاليد احترام الطالب أستاذه احترامًا يجعله في مصاف الوالدين بل أسمى منهما مقامًا (ابن هشام ١٩٥٥: ٦٩) . وتم تقسيم هذا المبحث الي مطالب كالاتي:

المطلب الأول: المدرسون وآدابهم:

أساتذة المدارس وآدابهم:

لقد اشترطوا منذ زمن مبكر جدًّا في أساتذة المدارس شروطا نجملها فيما يلي: أن لا ينتصب لهذا المنصب العلمي الخطير إلا بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذته وكبار علماء عصره أو بلدته على الأقل، وأن يتفرغ للتعليم ولا يشرك بعمله الشريف هذا عملا آخر، إلا إذا كان ممن ينزه نفسه عن أخذ أموال الأوقاف، فيحتاج حينئذ إلى القيام ببعض المهن الشريفة ليقوم بأود نفسه وإصلاح أهله، وأن يستعلم عن أسماء طلبته وحاضري درسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم؛ لما في ذلك من تقوية الصلات بينه وبينهم والتعرف إلى ماضيهم. وأن لا يمتنع عن تعليم أحد منهم علمًا أو بحثًا إذا أنس منه الفهم، وأن يتدرج معه في تفهيمه، وأن يذكر له قواعد الفن وضوابطه التي لا تنخرم مطلقا أو غالبا مع مستثنياتها إن كانت موجودة، وأن يبدأ بعدئذ بالأمور المتفرعة عن تلك القواعد، فيصور له المسألة ثم يوضحها بالأمثلة والشواهد ليقربها إلى ذهن الطالب مع غير ذلك الأدلة والعلل، فإن عرف ذلك جاءه بالأدلة والعلل والمآخذ.

وأن يطرح على التلاميذ أسئلة كثيرة يفهم منها مقدار ما استوعبوه من دروسه وما فهموه من مقرراته، فإن لم يجدهم قد استفادوا أعاد عليهم الكرة، وإن وجدهم قد فهموا منه أثنى على البارع منهم وشجّع المتوسط، وأن يختبر مقدار فهمهم وعلمهم، فيوصي كل واحد منهم بقراءة الكتب التي تلائم مستواه الفكري ومقدار علمه وأن يصون مجالس درسه عن الغوغاء واللغط وسوء الأدب والمباحثة، وأن يُراعي مصلحة طلابه في تعيين مواعيد الدروس وساعاتها وأن لا يرفع صوته، وأن لا يدعي علم ما يجهل؛ فإذا سأله تلاميذه عن شيء يجهله قال لا أعلم»، وأن يجلس على منصة وهو مستقبل القبلة بوقار متربعًا لا مقعيًا ولا رافعًا إحدى رجليه على الأخرى ولا ماذا رجليه ولا متكنا من غير عذر.

(الاصفهاني ١٩٨٧: ٩٧)

وأن يهتم مع طلابه بالدروس المهمة فيقدم ما تكثر حاجتهم إليه على غيره، وأن يكون مطلق الحرية في توجيه الطلاب بالشكل الذي يريده ما لم يخالف روح الشريعة والتقاليد الإسلامية المرعية.

وأن يكون مهذبا متدينا متحلياً بالأخلاق النبيلة، كاظمًا لغيظه حليمًا وقورًا متئدا رفيقاً بطلابه. وأن يكون متقيدا بشروط واقف المدرسة منفذا لرغباته، ولا بأس بمخالفة تلك الشروط إذا كانت المخالفة لمصلحة الطلاب وفائدتهم العلمية أو التهذيبية.

وأخيرًا، أن يكون حريصًا على حفظ أثاث المدرسة وكتبها وأدواتها، وأن يوصي الطلاب بذلك.

طلاب المدارس وآدابهم:

أخذ أهل الورع والخلق من طالبي العلم يقيدون أنفسهم بقيود وآراء يفرضونها على أنفسهم لئلا يخسروا في الدنيا والآخرة؛ فمن تلك القيود والآداب أن ينتخب الطالب المدرسة التي يريد أن يدخل فيها، وقد عقد المربي ابن جماعة في الباب الخامس من كتابه التربوي النفيس تذكرة السامع أحد عشر فصلاً بين فيها تلك الشروط والآداب نورد إليك خلاصتها فيما يلي:

(١) أن ينتخب لنفسه من المدارس بقدر الإمكان ما كان واقفه أقرب إلى الورع وأبعد من البدع؛ بحيث يغلب على ظنه أن المدرسة ووقفها من جهة حلال. ومهما أمكن التنزه عما أنشأه الملوك الذين لا يُعلم حالهم في بنائها ووقفها فهو أولى. وأما من علم حاله فالإنسان على بينة من أمره مع أنه قل أن يخلو جميع أعوانهم عن ظلم أو عسف.

(٢) أن يكون المدرس فيها ذا رياسة وعقل ومهابة وجلالة وناموس وعدالة، ومحبة في الفضلاء وعطف على الضعفاء، يقرب المحصلين ويرغب المشتغلين ويبعد اللعابين وينصف البحاثين حريصًا على النفع مواظبا على الإفادة. وينبغي للمدرس الساكن بالمدرسة أن لا يكثر الخروج من غير حاجة؛ فإن كثرة ذلك تسقط حرمته من العيون، ويواظب على الصلاة في الجماعة فيها ليقتدي به أهلها، وينبغي أن يجلس في كل وقت معين ليقابل مع الجماعة الذين يطالعون دروسه من كتبهم، ويصححونها ويضبطون مشكلها ولغاتها واختلاف النسخ في بعض المواضع وأولاها بالصحة، ليكونوا في مطالعتها على يقين فلا يضيع فكرهم ويتعب وإذا اشترط الواقف استعراض المحفوظ كل شهر أو كل فصل على الجميع حقق قدر العرض على من له أهلية البحث والفكر والمطالعة والمناظرة؛ لأن الجمود على يقين المسطور يشغل عن الفكر الذي هو أم التحصيل، وأما المبتدئون والمنتهون فيطالب كلًا ، منهم على ما يليق بحاله (البغدادي ١٩٩٩: ٦٣) .

(٣) أن يتعرف شروط الواقف ليقوم بحقوق المدرسة ويستحق معلوم الراتب بحق. ومهما أمكنه التنزه عن معلوم المدارس فهو أولى، لا سيما في المدارس التي ضُيِّق في شروطها، فإن كان تحصيله البلغة يضيع رفاقه ويعطفه عن تمام الاشتغال أو لم يكن له حرفة أخرى تحصل بلغته وبلغة عياله فلا بأس بالاستعانة بذلك، ولكن يتحرى القيام بجميع شروطها ويحاسب نفسه على ذلك.

(٤) إذا حصر الواقف أمر سكنى المدرسة على المرتبين بها لم يسكن غيرهم فيها، وإن لم يحصر ذلك فلا بأس إن سكن فيها من كان أهلا وإذا سكن فيها غير المرتب وجب عليه أن يكرم أهلها من المرتبين ويقدمهم على نفسه، ويحضر دروسها ولا يرفع صوته بقراءة أو تكرار رفعًا منكرًا، أو يغلق بابه أو يفتحه بصورة شديدة ونحو ذلك.

(٥) أن لا يشتغل فيها بالصحبة وما إلى ذلك، بل يُقبل على الدرس. واللبيب المحصل من يجعل المدرسة منزلا يقضي وطره فيه ثم يرتحل عنه، وإن عاشر من يعينه على تحصيل مقاصده ممن يوثق بأمانته فلا بأس بذلك، وليكن له أنفة من عدم ظهور الفضيلة مع طول المقام فيها، وليطالب نفسه كل يوم باستثارة علم جديد ويحاسب نفسه على ما حصله ليكون مرتبه حلالا، فإن المدارس وأوقافها لم تُجعل لمجرد المقام والعشرة ولا لمجرد التعبد والصلاة كالخوانق والعاقل يعلم أن أبرك الأيام عليه يوم يزاد فيه علمًا (الحارث ١٩٩٢: ٨٣).

(٦) أن يكرم أهل المدرسة التي يسكنها بإفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام، فإن لم يستقر خاطره بينهم فليرتحل عنهم، وإذا استقر خاطره فلا ينتقل من غير حاجة؛ فإن ذلك مكروه للمبتدئين جدًّا، وأشد منه كراهية تنقل الأطفال من كتاب إلى كتاب؛ فإنه علامة على الضجر واللعب وعدم الصلاح

(٧) أن يختار لجواره أصلح الطلاب حالا وأكثرهم اشتغالا، والمساكن العالية في المدارس لمن لا يضعف عن الصعود أولى. وقد قال الخطيب البغدادي: إن الغرف أولى بالحفظ، أما الضعيف أو من يُقصد للفتيا والاشتغال عليه فالمساكن السفلية أولى بهم. والمراقي التي تقرب من الباب أو الدهليز أولى بالموثوق بهم، والمراقي الداخلية أولى بالمجهولين.

(٨) أن يحافظ على أثاث المدرسة من الإتلاف والأوساخ.

(٩) أن لا يتخذ باب المدرسة مجلسًا، بل لايجلس فيه إلا للحاجة كانقباض صدر أوضيق، ولا يجلس كذلك في دهليزها المؤدي إلى الطريق، ولا يكثر من المشي في ساحة المدرسة من غير حاجة.

(١٠) أن لا ينظر في غرفة أحد من الطلاب أثناء مروره من شقوق الباب، وإن سلَّم سلم وهو ماش، ولا يُكثر الإشارة والالتفات إلى الشبابيك والطاقات، لاسيما إذا كان فيها نساء، ويتحفظ من الضوضاء والصياح .

(١١) أن يتقدم الطلاب على الدرس في حضور الدرس ويكونوا في أحسن الهيئات. وكان الشيخ أبو عمر بن الصلاح يقطع من يحضر من الطلاب بغير عمامة أو مفكك أزرار الفرجية والجبة.

هذه هي الشروط والآداب التي أضحت تقاليد متبعة في أكثر المدارس في الإسلام بعد أن وجدت تلك المدارس وكثرت واستقرت أنظمتها واتسقت أحوالها وبرامجها.

المطلب الثاني: التعليم عند المسلمين «أهدافه، مواده، مناهجه»

توطئة في التعليم عند الأمم القديمة:

قدمنا في الفصل الخاص بـ «الكتاتيب شيئًا عن برامج التعليم فيها، ونريد هنا أن نبين شيئًا عن برامج المدرسة وأهداف التعليم فيها، ونريد قبل أن نشرع في تفصيل ذلك أن نلم إلمامة بالتعليم عند الأمم القديمة المجاورة للمسلمين من فرس ويونان وروم ومسيحيين؛ لما في ذلك من فائدة، ولأن المسلمين قد اقتبسوا بعض ما يتعلق بالتعليم عن هذه الأمم. ولقد ظلت الدواوين في الدولة العربية بالفارسية والرومية إلى أيام عبد الملك، فكان طبيعيًا جدًّا أن يركن إلى نظام التعليم عند الفرس والروم ليفيدوا منه ما يلائم أوضاعهم وأسلوب دولتهم، يقول الجهشياري، ولم يزل في الكوفة والبصرة ديوانان؛ أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم، وهذا الذي كان عمر قد **رسمه**، والآخر لوجوه الأموال الفارسية، وكان بالشام مثل ذلك أحدهما بالرومية والآخر بالعربية فجرى الأمر على ذلك إلى أيام عبد الملك (الزاوي ١٩٨٣: ٦٣) .

وقال في موضع آخر: «وكان أكثر كتاب خراسان إذ ذاك مجوسًا، وكانت الحسابات بالفارسية، فكتب يوسف بن عمرو – وكان يتقلد العراق في سنة أربع وعشرين ومائة – إلى نصر بن سيار كتابا أنفذه مع رجل يُعرف بسليمان الطيار يأمره ألا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابته.

ولا شك في أن العرب كانوا يستمدون من الفرس والروم ما عندهم من آداب ونظم وتعاليم. أما عن الفرس فيقول الأستاذ علي أكبر مظاهري في رسالته المفيدة التي سماها الأسرة الإيرانية قبل الإسلام»: «كان الطفل الإيراني قبل الإسلام يتعلم مهنة أبيه؛ لأن النظام الاجتماعي الفارسي في إيران كان يقضي بتوزيع الناس إلى طبقات يتوارث أبناء كل طبقة صناعة آبائهم وأهلهم وفي ذلك يقول الفردوسي لم يُعرف أن أحدًا كان أبوه حدادًا فصار هو كاتبًا، بل يرث كل طفل صناعة أبيه؛ فابن الفلاح يرث صناعة الفلاحة وابن الصانع يرث الصناعة، وابن الكاتب يرث الكتابة وابن الكاهن يرث علوم أبيه الكهنوتية، والجندي يرث صناعة أبيه الحرب (الشرقاوي ١٩٩٤: ٦٤).

فهذا يدلُّ على أن الناس في الأمة الإيرانية قبل الإسلام كانوا طبقات منظمة، وأن العلم كان له أربابه، وكذلك الكتابة والكهانة وهي كلها صناعات ثقافية وطبيعي جدا أن تؤثر هذه الصناعات الثقافية وأساليبها في العرب حين دخلوا بلاد فارس أو أن ينقلها الفرس إلى ديار الإسلام حين يعتنقون الإسلام ومما هو جدير بالإشارة إليه أنه كان لدى طبقة الأشراف في فارس مربون يعلمون أبناءهم في قصورهم ولا يذهبون إلى المدارس الابتدائية كما يذهب أبناء طبقة الكتاب، وكان هؤلاء المربون يعلمون أولئك الأطفال معلومات عامة في الدين والأدب والرياضة والفروسية والموسيقى. وتلي طبقة الأشراف هذه طبقة الكتاب التي يسعى أبناؤها إلى المدارس فيتعلمون الدين والآداب والفنون وآداب السلوك والأخلاق ومما هو جدير بالذكر أيضًا أنه على الرغم من وجود تلك الطبقات وتميز طبقة الأشراف بالمؤدبين، فإن أبناء الطبقات الأخرى جميعا كانوا متساوين في شيء واحد هو التعليم الديني الذي يتلقونه في المعابد، وكان ذلك التعليم الديني مزاجا من الديانة والتاريخ المقدس والتقويم والتراتيل الدينية. وقد كان لرجال المعابد طريقة تعليمية مفيدة يعلمون بها الأطفال وهي طريقة السؤال والجواب على النمط الآتي: أيها الطفل الإيراني، من تكون أنت؟ من أين جئت إلى هذا العالم وإلى أين تذهب؟ إلى أي الآلهة تنتسب إلى أهورا أم أهر من؟ إلى خالق الخير أم خالق البشر ؟ ما الخير أيها الطفل؟ وما الشر أيها الطفل؟ ... إلخ.

وكانوا يعلمونه أجوبة هذه الأسئلة ويشرحونها له. وبعد أن يتم الطفل علم هذه الأشياء ينصرف إلى صناعة أبيه، ولم يكن هؤلاء الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة؛ لأن ذلك مخصوص بالطبقتين الرفيعتين اللتين سبق ذكرهما، وهما الأشراف والكتاب.

وأما الروم فهم قوم أصحاب حضارات عريقة، وإلى جانب حضارتي اليونان والرومان الوثنيتين ظهرت في بلادهم الحضارة المسيحية التي أخذت تشرق وتقوى لطابعها الرومي شيئًا فشيئًا، وتحاول القضاء على الوثنية اليونانية، وعلى الرغم من أنها قضت عليها إلا أنها قد تأثرت بآثار عميقة من التراث اليوناني والروماني. وقبل أن نعرض إلى ما جاءت به الديانة المسيحية من آداب التعليم والتربية، نريد أن نلم إلمامة قصيرة بما كان عند اليونان والرومان مما يتعلق بالأطفال وتعليمهم، ومن أمور الثقافة بصورة عامة؛ كانت أدوار التربية عند اليونان الإسبارطيين كما يلي. (الطيب ٢٠١٢: ٩٨) :

(١) من حين الولادة إلى السنة السابعة، ويكون الطفل فيها تحت إشراف الأم.

(٢) من السنة السابعة إلى الثامنة عشرة، ويكون الطفل فيها في الثكنات العسكرية تحت إدارة أولاد أكبر منه.

(٣) من السنة الثامنة عشرة إلى العشرين، ويكون في بعض الثكنات كضابط ومربي أولاد أصغر منه سنا.

(٤) من السنة العشرين إلى الثلاثين يتدرب في الجيش على المعارك الحقيقية أثناء الحروب الحقيقية، أو الاصطناعية أثناء السلم.

(٥) من السنة الثلاثين فما فوق يصبح مواطنا ينال ما يستحق من مراكز الدولة (الزبيدي ٢٠٠١: ٦٤).

وكانت أدوار التربية عند الأثينيين كما يلي:

(أ) من الولادة إلى السابعة، تقوم إحدى الإماء المدربات بتربيته عوضًا عن الأم.

(ب) من السابعة إلى السادسة عشرة، تقسم تربية الطفل بين مدرستين «البالستر» وهي مدرسة التربية البدنية والموسيقى» وهي مدرسة الغناء، ويكون الطفل دوما مصحوبًا بعبد يشرف عليه يسمى «البيداغوغ».

(ج) من السادسة عشرة إلى الثامنة عشرة، تقسم تربيته إلى مدرستين «الجمنازيوم» وهي مدرسة يدرس فيها الرياضة بصورة عامة، و«مدرسة المعلومات المدنية وهي التي يدرس فيها ما يؤهله للحياة العامة وفي سن الثامنة عشرة يحلف يمين الإخلاص لأثينا.

(د) من الثامنة عشرة إلى العشرين يدخل مدرسة التعليم العسكري الإجباري بحيث يقضي سنة في أثينا وسنة في خارجها (العسقلاني ١٩٦٠: ٦٢) .

(هـ) من العشرين إلى ما فوق، يصبح مواطنا وينال مركزه اللائق به في الحياة الاجتماعية.

وكانت الغاية من التعليم عند اليونان هي تنمية الطفل خَلقًا وخُلقًا. إلا أن الناحية العقلية عند الأثينيين كانت موسعة بينما كانت الناحية الجسمية عند الإسبارطيين هي الموسعة. كان الشاب الأثيني يدرس أشعار هوميروس ليفيد منها الآداب والأخلاق ويطلع على المعلومات الثقافية العامة كما كان يدرب على حضور المجامع العامة والمحاكم، أما الإسبارطي فكان يصرف وقتا طويلا على الرياضة ويحشو دماغه بكثير من المحفوظات، وبخاصة قوانين «ليسرغوس» الفقيه الإسبارطي المشهور، وبضع مختارات من «هوميروس» فينشدها بإتقان ويدرب على الكلام الفصيح الموجز أما في أثينا فكان الطفل على خلاف ذلك؛ إذ كان يمرَّن على الموسيقى والرقص والقراءة والكتابة والحساب، وكانوا يُقرئونه «هوميروس» ويُحفظونه كثيرًا منه. ومن أهل أثينا نبغ الفلاسفة وعلماء البيان، وفي أثينا قامت الجامعة» Université حوالي ٢٠٠ ق.م وكانت مقسمة إلى قسمين أحدهما للفلسفة، وثانيهما للآداب، وظلت أثينا إلى سنة ٣٠٠ ق.م مركز العلم والفكر في العالم، وقد شجع الملوك هذه الجامعة، ولما منع جوستنيان في سنة ٥٢٩ تعليم الفلسفة في أثينا كان ذلك – في الحقيقة – عهد القضاء على الجامعة، وكان لليونان جامعة أخرى في الإسكندرية، وكانت لها مكتبة عظيمة ومتحف أثري. ولما أحرقت هذه المكتبة في القرن الثالث للميلاد تقهقرت الجامعة وتقهقر العلم في المدينة حتى الفتح العربي سنة ٦٤٠ للميلاد.

أما الرومان فهم ورثاء اليونان وقد أفادوا كثيرًا من خبرتهم في التعليم والثقافة وضروب الحضارة، كما أنهم أضافوا أشياء كثيرة إلى ما اقتبسوا منهم في فنون العلم والآداب.

وقد ازدهرت الخطابة في عهدهم وارتقت رقيًّا فاق ما كان عليه في أيام اليونان. أما الفلسفة فإنهم لم يستطيعوا أن يبزوا فيها أساتيذهم، وكانوا مقلدين أكثر منهم مخترعين. أما الرقص والرياضة والألعاب فقد أهملوا أمرها.

وتنقسم تربية الأطفال عند الرومان إلى أدوار ثلاثة خصصوا كل دور بمعهد:

(١) الدور الابتدائي: ويدرس الطفل فيه بالمدرسة الابتدائية «لودوس ببليكوس»، وهي مدارس مختلطة يجتمع فيها البنات والصبيان من السنة السابعة حتى العاشرة، ولم يكن للرومان عناية شديدة بهذه المدارس، وإنما كانوا يكتفون بتعليم الطفل فيها مبادئ الكتابة والحساب وما كانوا يهتمون بانتقاء المعلمين اهتمامهم بهم في الدور الثانوي.

(٢) الدور الثانوي: ويدرس الطالب فيه بالمدرسة الثانوية التي لا يدخلها سوى الشباب الذين تجاوزوا العاشرة إلى السادسة عشرة. ومنهج الدراسة في هذه المدرسة يشتمل على دروس اللغة اللاتينية نحوها وغريبها، ودروس في الإنشاء والآداب وتاريخها والخطابة والفصاحة ودروس في الموسيقى والفنون الجميلة وكان لهم اهتمام شديد بهذه المدارس، وكانوا ينتقون لها أفاضل المثقفين من علمائهم وفلاسفتهم.

(٣) الدور العالي ويدرس الطالب فيه بالمعاهد العالية والجامعات التي يدخلها من تجاوز السادسة عشرة (الفنيش ٢٠٠٣: ٨٧) .

ونهج الدارسة في هذه الكليات مشتمل على محاضرات في فنون الخطابة والفصاحة، والقانون والأحكام الشرعية والقضائية والجنائية، وعلم المناظرة في القوانين، ودروس في الأخلاق والفلسفة. ١٧٨ ومدة الدراسة في هذا الدور ثلاث سنوات. وكانت أرقى الجامعات جامعة روما الشهيرة بـ «الأثينيوم» التي امتازت بمن كان فيها من العلماء وكبار المدرسين وما احتوت عليه في مكتبتها من نوادر المخطوطات التي جمعها الرومان من بلاد اليونان حين كانوا يغزونها في حروبهم منذ القرن الثاني ق.م، وكان الإمبراطور سباسيان في ٧٥ ق. م هو الذي أسس تلك المكتبة العظيمة. ولما انحطت الإمبراطورية الرومانية انحطاطا سياسيا خلال القرون الثلاثة التي عقبت القرن الثاني للميلاد أخذت الثقافة اليونانية تنحط وشرعت الثقافة المسيحية تحل محلها. وأهم عناصر الثقافة المسيحية الجديدة مما يتعلق بتربية الأطفال هو التربية الروحية، والبحث عن ماهية الإنسان ،وخلقه والاهتمام بنظرية وجود الله سبحانه وتوحيده، والقول بالمبدأ والمعاد وما إلى ذلك مما لم تكن التربية الرومانية تعرفه، وبانتشار المسيحية بين الرومان خلال تلك القرون الثلاثة انزوى الناس عن الثقافة الرومانية واتجهوا إلى الثقافة المسيحية، وأخذت المعاهد الرومانية بأصنامها الثلاثة تنحط، وكانت الكنيسة هي

الأم التي حضنت الثقافة الجديدة، وقد أوجدت الكنيسة في الأديرة والكنائس والكاتدرائيات مدارس ابتدائية وثانوية وعالية يُعلَّم فيها الدين الجديد وفلسفته والآداب والتاريخ والطبيعيات طبق تعاليم الكنيسة. وكانت هذه المعاهد مقصورة على رجال الدين وأبنائهم، وغرضها هو تخريج رجال للكنيسة. وقد لمع اسم هذه المعاهد وأضحت المؤسسات الرسمية للتعليم بعد أن اعتنقت الدولة الرومانية الدين المسيحي سنة ٣٩١م، وازداد نفوذ تلك المؤسسات الرسمية حين أصدر الإمبراطور جوستنيان سنة ٥٠٠م أمره بوجوب غلق المعاهد الرومانية الوثنية؛ وبذلك انتصرت التربية المسيحية على التربية الوثنية، ويمكننا أن نقسم المعاهد المسيحية على الشكل التالي:

(أ) الدور الابتدائي: ويدرس فيه الطفل بمعهد أولي ملحق بالدير أوالكنيسة، ويتلقى فيه مبادئ القراءة والكتابة والدين وهذا الأمر كثير الشبه بالذي حدث بعدئذ عند المسلمين.

(ب) الدور الثانوي: ويدرس فيه الفتى بمعهد ثانوي ملحق بالكنيسة أو الكاتدرائية ويتلقى فيه تعاليم الدين ومبادئ اللغة اللاتينية وآدابها وبعض مباحث الفلسفة المسيحية التي تؤهله أن يكون من رجال الدين.

(ج) الدور العالي ويدرس الطالب في مدرسة الكاتدرائية أو الكنيسة مباحث اللاهوت وعلوم اللغة والآداب والفلسفة وعلوم الطبيعة والرياضيات والتاريخ الكنسي؛ بحيث يصبح المتخرج قسيسا عالما بالدين. وقد انقسمت الأساليب الدراسية في هذه المعاهد إلى طرائق عديدة، أشهرها البندكتية والفرنسيسكانية والدومينيكية (القرني ١٩٩٩: ٦٥).

هذه صورة مجملة لما كان عليه الوضع الثقافي للأطفال والشبان لدى الفرس واليونان والرومان في بلادهم وفي الديار الخاضعة لنفوذهم في الشام ومصر منذ العصور القديمة إلى أن فتح المسلمون ديارهم (اسماعيل ١٩٨٦: ٥٦) .

فلما فتح الله على العرب تلك الديار كانت الثقافة فيها مضطربة تبعا للاضطراب السياسي الذي كانت عليه البلاد؛ فقد تدهورت البلاد سياسيًا، وعمتها الفوضى، وانحطّت الثقافة وانصرف الناس إلى الكسل ومُتع الحياة عن الحزم والجد. وعلى الرغم من أن المسيحية أرادت إحياء النفوس وتطهيرها من الجهالة والفساد الخُلُقِي والانحلال الاجتماعي، فإنها لم تستطع ذلك، وقد رأى زعماء الكنيسة أنهم لا يستطيعون الوقوف أمام تيار الفلسفة الإغريقية الوثنية المادية إلا بالتسلح بالأدلة العقلية والفلسفة

المنطقية لمحاربة أولئك الماديين. وكانت «جامعة الإسكندرية مركزا من مراكز تلك الحركة الاصطلاحية. وعلى الرغم من أن المسيحية في أيامها الأولى قد انزوت عن الحكومة ولم يكن بينها وبين الدولة صلات قوية فإنها اضطرت – حين وجدت انهيار الحكومة – أن تدخل في المعترك وأصبحت دولة ضمن دولة، ولمع من أقطاب الكنيسة وأحبارهم قوم تداخلوا في السياسة محاولين بسط نفوذهم على كل مرافق الحياة وإصلاح ما يمكن إصلاحه في الدولة (زغلول ٢٠١٣: ٦٧).

وقد اعتبر بعض المسيحيين الزاهدين في الدنيا والمنصرفين عن أمور السياسة وفتنها، والمعتقدين بأن هذا العالم كله شرور وآثام أن إقدام هؤلاء الأقطاب والأحبار أمر غير محمود العاقبة فانزَوَوْا في الديارات والصوامع لاجئين إلى الصحاري والقفار، ناجين بأنفسهم عن معترك السياسة ورذائل الحياة الدنيا؛ بهذا العمل ظهرت الرهبنة في المسيحية في الشرق ثم انتقلت منه إلى الغرب في أوائل القرن الرابع للميلاد. والمسيحية منذ ظهرت وجدت نفسها أمام ثقافة وثنية غنية من آداب اليونان والرومان وفنونهم وعلومهم ولغتهم؛ فأخذت تعد العدة لخلق ثقافة رفيعة وتعليم سام، ولكنها لم تجد بدا – كما قلنا – من اصطناع بعض أصول الثقافتين الوثنيتين لغناهما الأدبي واللغوي والعقلي. وقد افتتحت المسيحية عددًا كبيرًا من المدارس لتعليم شُبان المسيحيين في الكنائس والأديرة في الشرق والغرب، وكانت هذه المدارس هي النواة التي سمقت منها دوحة العلم في الغرب فيما بعد، وكانت مناهج تلك المدارس مزاجا من علوم الدين والدنيا إلا أن الروح الديني مسيطر عليها. وقد اقتبست هذه المدارس كثيرًا من قواعد التعليم ومواده عن اليونان والرومان والشيء الوحيد الجديد الذي انفردت به هو أنها ألزمت الطلاب بالدراسة في مكان معين وعلى أستاذ معين بعد أن كان الطلاب لدى اليونان والرومان أحرارًا في اختيار أساتذتهم وأحرارًا في التنقل من مكان إلى آخر. وقديما كان الشاب يتلقى قواعد اللغة وأدبها من أستاذ، ثم يتلقى الموسيقى والرقص من أستاذ آخر، ويتلقى الخطابة والفصاحة من أستاذ ثالث ينتخبه (النورسي ١٩٨٤: ٦٤).

أما المدرسة المسيحية في الدير أو الكنيسة فقد كانت من نمط آخر يدرس الطالب فيها على أستاذ بعينه ويلازمه فيتخلق بكثير من أخلاقه ويتطبع بطابعه الروحي والخلقي والمعاشي. ثم إن هناك فرقا آخر بين الطالب المسيحي والطالب الوثني؛ فالأول طالب يدرس لتسمو روحه وتصقل شخصيته بصقال إلهي ويتفلسف فلسفة دينية سماوية، أما الثاني فطالب يدرس ليصقل عقله ويجمل جسمه

وتنمو معلوماته بالحياة ويتعرف على ماهية الكون ويتفلسف فلسفة اجتماعية ترفع قدره بين أترابه ومواطنيه ١٧٩ والخلاصة أن المسيحية جاءت بنمط جديد حين ربطت التعليم بالكنيسة والدير، وهي وإن أحسنت من ناحية فقد أفسدت من ناحية أخرى؛ أما الناحية التي أ فيها فهي أنها نظمت شئون التعليم وهيأت له الأمكنة الصالحة، وسارت به في طريق صحيحة مستقيمة وأما الناحية التي أفسدت فيها فهي أنها ضيقت نظام التعليم وجعلته مقصورًا على طبقة الكهنوت ومن يتصل بها بعد أن كان التعليم قبلا عاما لجميع أفراد الشعب وسير التعليم في الإسلام يشبه سيره في المسيحية؛ فقد كان التعليم كما رأينا في صدر الإسلام يهدف إلى تعليم القرآن وما إليه، وكانت المساجد هي المركز الأول الذي احتضن التعليم إلا أن الفرق بين الإسلام والنصرانية في هذا أن الإسلام جعل التعليم لكافة الناس، أما النصرانية فإنها تفرضه على طبقة رجال الكهنوت، وفي هذا دليل على أن الإسلام لم يقتبس نظام الكتاتيب من المدارس المسيحية والأديرة أو الكنائس، كما قال بعض الباحثين من المستشرقين؛ فقد رأينا أن الفرق واضح بين «المدرستين» الإسلامية والمسيحية، ثم إن التعليم الإسلامي نشأ مع الإسلام نفسه وتطور بتطوره؛ فقد كان بسيطا سمحا في عصر الرسول وخلفائه ثم تعاظم في العصر الأموي وبلغ درجة الكمال في العصر العباسي وفقا لسنة النشوء والارتقاء.

المطلب الثالث: أهداف التعليم عند المسلمين:

اختلف المؤلفون المسلمون وغير المسلمين في بيان الأهداف التي قصد إليها الإسلام من وراء حَضّه على العلم؛ فمنهم من قال إن أهدافه من وراء ذلك هي إحياء شعائر الإسلام والقيام بفروضه لا غير؛ فالأغراض الدينية بحتة، والرسول حين قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم.» قصد التعليم الديني من قرآن وسُنَّة وما إليهما، وأنه فسر هذا العلم بقوله في حديث ثان أفضل الناس المؤمن العالم. وهذا العالم هو المقصود بقوله تعالى: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. ومنهم من قال إن أهداف الإسلام من التعليم هي أهداف دينية ودنيوية معًا؛ فإن الدين الإسلامي لا يمنع أهله من الإفادة مما في الكون من ملاذ ومتع ومن توجيه العقل إلى اكتساب المال بالطرق المشروعة.

وهو هدف اللذة من تجارة وصناعة وزراعة وما إلى ذلك مما وردت في حله وإباحته الآيات والأحاديث النبوية. ومنهم من قال إن وراء الهدفين الديني والدنيوي. هدفا ثالثا، الروحية من العلم،

وذلك الهدف هو الذي يدفع صاحبه إلى التعلم والبحث لا لشيء سوى البحث والتعلم لذاتهما مكتفيًا بلذة البحث عن الحقيقة والتفتيش عن دفائن المعرفة. وقد تعرض الأساتذة خليل طوطح وأسماء حسن فهمي والأهواني إلى مناقشة هذه المسألة بإسهاب، وأكتفي هنا بإيراد ما قاله الدكتور الأهواني؛ فإنه أحصى القول فيه وعلق عليه ووصل فيه إلى نتيجة طيبة؛ حيث يقول في فصل عنوانه «مناقشة الغرض من التعليم لم يذكر القابسي من الأغراض التي يبتغيها الإنسان حين يتعلم إلا الغرض الديني.

وقد ذكر الأستاذ خليل طوطح أن التعليم عند المسلمين كان يرمي إلى أربعة أغراض: غرض ديني، وغرض اجتماعي، والتذاذ عقلي، وغرض مادي، وقسمت أسماء فهمي أغراض التعليم إلى ثلاثة أقسام: غرض ديني، وغرض عقلي وثقافي، وغرض نفعي. ١٨٠ وكلاهما يأخذ هذه الأغراض من شتى الكتب العربية، مثل «تعليم المتعلم» للزرنوجي، و«جامع بيان العلم لابن عبد البر، وإحياء العلوم للغزالي، وكشف الظنون، لحاجي خليفة و مفتاح السعادة لطاش كبري زاده و «رسائل إخوان الصفاء». والرأي عندنا أنه لا توجد أغراض للتربية عند العرب على وجه الإطلاق، وإنما يجب أن نذكر صاحب المذهب ثم نذكر الغرض من التعليم الذي يلائم المذهب فطريقة التعليم مستمدة من مذهب صاحبها (النووي ٢٠٠٧: ٨١).

والغرض من التعليم عند القابسي – وهو من فقهاء أهل السنة – غرض ديني يقصد منه تعليم القرآن ومعرفة العبادات المفروضة. وقد أوجزنا القول في حقل آخر عن التربية عند العرب وعرضنا هذه المذاهب المختلفة لنبين أن الاختلاف في أغراض التعليم ووسائله عند المسلمين إنما يرجع إلى اختلاف هذه المذاهب العقلية ...... وقال في فصل آخر عنوانه آراء المسلمين في التربية والتعليم ونحن نرمي من هذا الغرض أن نبين أمورًا ثلاثة الأول: أن المستشرقين الذين كتبوا في التربية الإسلامية – ومن تبعهم من المؤلفين في الشرق – درجوا على تقرير آراء معينة في التعليم، قالوا عنها إنها آراء المسلمين أو العرب فيما يختص بأغراض التعليم ومناهجه وطرقه وأصوله، وهذا التعميم خطأ؛ لأن أمور التعليم اختلفت باختلاف الأقاليم واختلاف الأشخاص القائمين عليها . والثاني: أن الآراء التعليمية لمفكر ما وحدة متماسكة في ذهن صاحبها؛ فقد يذكر منهجًا خاصا يلائم الغرض من التعليم الذي يذهب إليه وكذلك طريقة التعليم التي سلكها في تحقيق ذلك المنهج؛ فلا

يصح أن ننقل جزءًا من مذهب مفكر في التعليم ونترك سائر ما ذكره والثالث: أننا نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن مذهب المفكر في التعليم جزء أو صدى لمذهبه العام في الحياة أو فلسفته؛ إذ كانت الفلسفة هي النظر الشامل للحياة، وقد التزمنا هذه المنهج في بحثنا . ثم عرض إلى رأي القابسي، فرأي إخوان الصفاء فرأي ابن سينا، فرأي الغزالي، فالزرنوجي، فابن عبد البر، وختم برأي ابن خلدون، ولا نريد إطالة البحث ببيان آراء هؤلاء ها هنا ،مفصلة، وإنما نريد أن نقول إن من يدقق في دراسة آرائهم لمعرفة أهداف المسلمين من التعليم يرى أن أهدافهم كانت ثلاثة دينية ودنيوية وعلمية أما القول بأن التعليم إنما كان له هدف واحد كما ذهب إليه القابسي والأهواني فهو قول المتزمت المبالغ ؛ فقد روى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» كلمة رائعة لعبد الملك بن مروان يوصي بها بنيه وهي قوله: يا بني تعلموا العلم، فإن استغنيتم كان لكم جمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مالا..(مسلم ١٩٩٣: ٥٧) .

ويقول حاجي خليفة: فالعلوم ليس الغرض منها الاكتساب، بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الأخلاق على أن من تعلم علمًا للاحتراف لم يأتِ عالما إنما جاء شبيها بالعلماء. ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا الأمر ونطقوا به، ولما بلغهم بناء المدارس في بغداد أقاموا مأتم العلم، وقالوا كان يُشغل به أرباب الهمم العالية والأنفس الذكية الذين يقصدون الشرف والكمال به فيأتون علماء يُنتفع بهم ويعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل. وهناك أقوال كثيرة أخرى نقلت لنا عن القدماء والمتأخرين وهي كلها تدل أن للعلم أهدافًا غير الأهداف الدينية منها أهداف دنيوية واجتماعية، ومنها أهداف سامية لا يبغي منها صاحبها إلا العلم نفسه، وهذا كان هدف عشرات من العلماء الذين بذلوا أعمارهم في سبيل العلم والبحث ولم يقبلوا عليه أجرًا ولا وظيفة ولا أباحوا لأنفسهم أن يقبلوا درهما ولا دينارًا في سبيل العلم والبحث أمثال عشرات من الصحابة والتابعين، وفي طليعتهم أبو بكر وعمر وعلي وابن عباس وابن عمر، وأبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل والأوزاعي، وسيبويه والكسائي والخليل والأشعري والبخاري ومسلم والمعري والماوردي والذهبي والبطليوسي والبيضاوي والسيوطي والافغاني ومحمد عبده (امير ١٩٠٠: ٨٤).

الخاتمة:

اما بعد، فهذه نظرة شاملة الى تاريخ التربية والتعليم ومعاهدهما واساليبهما وطرقهما وبرامجهما وكتبهما في العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام الزاهي الى العصور المتأخرة الراكدة ، وقد بذلنا وسعنا لتبين الطرق الرشيدة التي سلكها اجدادنا العرب المسلمون في تربية وتنشئة احفادهم تنشئة صالحة مكنتهم من تكوين تلك الامبراطورية العربية المسلمة التي نعتز بها.

وان من يدقق في البحث ويمعن النظر في الآراء والنظريات العلمية التي نشأ بموجبها اباؤنا أبنائهم ، يرى انهم لم يبنوا تلك الحضارة اعتباطا ولا جزافا، وانما هي مبنية على أسس قويمة وقواعد ثابتة مدروسة تهدف الى انشاء الفتى العربي حرا في نفسه مستقلا في تفكيره واثقا من أقواله، لا يصدر اراءه واحكامه الا بعد التفكير والاختبار، حيت كانوا يتركون له حرية القراءة والاستيعاب والحفظ ويحرصون على تنمية ملكاته متبعين في ذلك سنة الكون وعامل الزمن ، وانهم وان اباحوا ضربه اذا اذنب فإنما فعلوا ذلك رحمة به واشفاقا عليه من ان يظل او يفسد.

ويمكن ان نفهم التعليم وفقا للمنظور الإسلامي يتطور بتطور ظروف المجتمع والتربية في الإسلام تهدف الى خلق الانسان المتزن المتعايش مع الكون المعمر للأرض والمسخر لخيراتها، فهي تربية جامعة ومتوازنة تسعى الى تحقيق خلافة الانسان في الأرض لتعميرها لغاية تحقيق مصالح الجماعة مع غرس القيم الحميدة والنبيلة في هذا الانسان، وتقوم التربية الإسلامية على أساليب عديدة أهمها : التربية بالقدوة، وبالعبرة والموعظة، والترغيب والترهيب، وبتكوين العادات الحسنة، وباستغلال الاحداث ، وبضرب الامثال ، وباستخدام القصة، وعن طريق حل المشكلات.

اما التربية وفقا للمنظور الحديث التي ظهرت حركاتها منذ القرن الثامن عشر الى بداية القرن العشرين فقد اهتمت بتربية الجسم والنفس وعنيت بقيمة المرأة وتقوم التربية الحديثة على أسس متعددة وهي : المشاركة في رحلة نجاح الطفل بالتعزيز الإيجابي، وبناء الجسور لا الجدران مع الأطفال بالتأديب الإيجابي، وصناعة الفارق في حياة الأطفال بالتواصل اليومي، وبين الحزم والدع يجب وضع قوانين الأبناء.

ويجدر الإشارة هنا الى ان التربية والتعليم من المبادئ والمهمات الأساسية التي اهتم بها الإسلام ودعا اليها، حيث يمكن بواسطتها بناء بنيان راسخ وقوي للامة، فالتربية هي تنمية سلوك الفرد وترقية

نحو القيم العليا وانها لا تستقيم الا بالتعليم والعكس صحيح ، وقد اكد القران الكريم على اهميتهما وأشار في عدد من الايات الى ذلك قال تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" سورة الانعام الاية ٩ وقال تعالى " كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون "

المراجع:

١. المراغي، احمد مصطفى ،(١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، تفسير المراغي ، الطبعة الاولى ، ج١٩، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، مصر .

٢.ابن كثير، اسماعيل ، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ،: تفسير تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) تحقيق محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، بيروت .

٢. البغوي ، أبو محمد ،(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن : تفسير البغوي تحقيق : عبد الرزاق المهدي الناشر ،الطبعة الاولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣. الزرقاني، محمد عبد العظيم ، (٢٠١٩) ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، الطبعة الثالثة ، ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .

٤. السعدي، عبد الرحمن ،(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الطبعة الاولى ، بيروت ، الناشر: مؤسسة الرسالة .

٥. الشوكاني ، محمد بن علي ،(١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) فتح القدير، الطبعة الاولى ، الناشر: دار ابن كثير، بيروت ، دار الكلم الطيب ، القاهرة .

٦. القرطبي، شمس الدين ،(١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ،: الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي، الطبعة الثانية ، الجزء ١٣، الناشر: دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٧. قطب ، سيد ، ، (١٤١٢هـ/ / ١٩٩٢م) ، في ظلال القرآن ، الطبعة السابعة عشر ، دار الشروق ،بيروت .

٨. ابن تيمية ، (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة الثانية ، الجزء ٢ ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المملكة العربية السعودية / المدينة النبوية.

٩. ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي الشيباني (٢٠٠٠م)، تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول (ص) ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت .

١٠.ابن هشام،(١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)،السيرة النبوية لابن هشام: تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢ ، ج٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر.

١١.الأصفهاني، الراغب ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، المفردات في غريب القرآن تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار ، الطبعة الثانية ، دار السلام ، القاهرة .

١٢.البغدادي، عبد القاهر ،(١٩٩٩م)، الفرق بين الفرق ، دار الشروق ، بغداد .

١٣.الحارث بن أسامة ، (١٩٩٢م) كتاب بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: للحافظ الجليل نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي(ت٨٠٧هـ) :تحقيق الدكتور حسين احمد الباكري ، مركز خدمة السنة ، السعودية /المدينة المنورة .

١٤.الزاوي، الطاهر أحمد ، (١٩٨٣م) مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا .

١٥.الشرقاوي، حسن ، (١٩٩٤م) ، المسلمون علماء وحكماء ، دار يافعة ، بغداد .

١٦.الطيب، أحمد محمد،(١٩٧٠م)، أصول التربية الحديثة ، دار المركز الوطني لتخطيط التعلم للطباعة ، بغداد .

١٧.محب الدين ، مرتضى الزبيدي ،(١٩٦٤م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ، دار الهداية للنشر والتوزيع ، مصر.

١٨.العسقلاني، أحمد بن حجر،(١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد الاول ، دار المعرفة ، بيروت .

١٩.الفنيش، احمد علي ، (٢٠٠٣م) ، أصول التربية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا .

٢٠.القرني، عبد الله سليمان، (١٤١٩هـ . ١٩٩٩م) بعض التوجيهات التربوية المستنبطة من خطب عمر بن الخطاب ، كلية التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى رسالة ماجستير غير منشورة، السعودية .

٢١.علي، سعيد إسماعيل ، (١٩٨٦م) مشكلة المنهج في دراسة التربية الإسلامية، مصر، دار الفكر.

٢٢.النجار، زغلول ، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣) ،الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، موسوعة الإعجاز، نسخة إلكترونية متاحة ، مصر .

٢٣.النورسي، بديع الزمان سعيدي ،(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) الكلمات، ج ٢، دار البلاغ ، بيروت .

٢٥. النووي، أبو زكريا محيي الدين ، (١٩٨٥م) ، رياض الصالحين ، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير للنشر والتوزيع ، مصر .

٢٦. الحجاج، مسلم ، (٢٠١٣م) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مج٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٧.عبد العزيز ، أمير، (٢٠٠٧م) ، إعجاز القرآن ، ط ١ ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين .